الفصل الثاني
شعر الهذيليين وخصائصــه

المبحث الأول : مصادر ودواوين شعر هذيل

المبحث الثاني : مكانة شعر الهذليين ونماذج من أشعارهم

المبحث الثالث : الخصائص الفنية في شعر هذيل

المبحث الأول: مصادر وديوان شعر هذيل:

لدينا من شعر هذيل ديوان كبير، كان ثمرة لمحاولة لغوي العرب جمع الشعر القديم. ويبدوا أن هذا الديوان كان واحداً من جملة دواوين القبائل، عنى بها الرواة، وحفظها المؤلفون واهتم بها الشراح منذ القرن الثاني للهجرة. ففي هذا الصدد يروي أن أبا عمرو الشيباني (المتوفي حوالي 205 – 210هـ) جمع دواوين القبائل أكثر من ثمانين، كما يروي أنه رجع إلى جميع ما كتبه المؤلفون قبله[1].[2].

قبل الحديث عن رواياته ونسخه، أن نبدأ بالحديث عن عدد ما فيه من الشعراء وأبيات الشعر، ومدى موافقته لما رواه لنا العلماء. فقد قال أبو سعيد[3] :(قيل لحسان بن ثابت الأنصاري . رضي الله عنه : أي الناس أشعر ؟ فقال : رجل بأذنه، أم قبيل بأسره؟ قال : هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك، وبنو سنان مثلهم مرتين ليس فيهم شاعر واحد)[4].

فإذا كان المقصود من هذه العبارة أن جميع من رؤى له شعر من هذيل (نيف وثلاثون شاعراً أو نحو ذلك) يكون ديوان هذيل الذي بين أيدينا قد ضم بين دفتيه جميع هؤلاء الشعراء، إذ أن الشعراء الهذليين فيه نحو أربعين شاعراً . غير أن أكثر من نصفهم قد رؤى لكل منهم أقل من خمسة وعشرين بيتاً ، بل أن بعض هؤلاء لم يروا له إلا بيتان أو ثلاثة أو أربعة، أما الشعراء الذين تجاوز شعرهم مائة بيت فسبعة فقط. وإذ كان غير محتمل أن يسمى حسان في عبارته المتقدمة من لم يقل إلاّ البيتين أو الثلاثة أو الأربعة شاعراً، فنحن إذن بين اثنتين :إما أن يكون عدد الشعراء كاملاً أو مقارباً ، ولكن ما روى لهم من الشعر ناقص غير مستوفي؛ وإما أن يكون كثير من الشعراء لم يذكروا في الديوان الذي بين أيدينا. وكلا الأمرين ينتهيان بنا إلى نتيجة واحدة وهي: إن ما بين أيدينا من شعر هذيل غير كامل. وثمة دليلان على ذلك غير ما تقدم أولهما :

---

(1) (دواوين القبائل)، جولد تسهير، ترجمة حسين نصار، اعدد 633 من مجلة الثقافة، ص2.
(2) شعر الهذليين، أحمد كمال زكي، ص 117.
(3) ديوان الهذليين (ط. دار الكتب) 2: 38، الكنية "أبو سعيد" مبهمة قد تعني السكري، وقد تعني الأصمعي.
(4) مصادر الشعر الجاهلي، الأسد، ط4، دار المعارف، مصر، 1955م، ص

قيل عن الإمام الشافعي أنه[1]:(كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل، بإعرابيها وغريبها ومعانيها) والذي بين أيدينا من هذا الشعر في أطول رواياته لا يكاد يبلغ ثلاثة آلاف بيت. ولعل قائل هذا القول لا يقصد بالعدد الذي ذكره إلى التعيين الدقيق، وإنما قصد إلى كثرة ما كان يحفظه الشافعي من هذا الشعر، ومع ذلك فإن الشعر الذي بين أيدينا سيبقى أقل من نصف ما كان يحفظه الشافعي. وكان الشافعي إماماً في الحفظ والرواية، وكان أصحاب الأدب يأتونه فيقرأون عليه الشعر فيفسره، وذكر الأصمعي أنه قرأ شعر هذيل عليه[2].

والدليل الثاني أن بعض العلماء قد استدركوا ما فات السكري ذكره من شعر هذيل، ومنهم أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفي سنة 392هـ) الذي ألف كتاب (التمام في تفسير أشعار هذيل) مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رحمه الله وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك[3].

صاحب هذه المجموعة السكري، لم يكتبها من عنده وإنما أخذها عن غيره ممن سبقوه ونقحها وأكملها، كانت المجموعة ضمن ما اعتنى به من دواوين القبائل، إلاّ أن هذه ضاعت كما رأينا، ولم يبق منها إلاّ جزء لا بأس به من (ديوان الهذليين).

ولقد لتصف ما جمعه السكري خاصاً بهذيل إلى أبي بكر الحلواني القارئ المتوفي سنة 333هـ، ورواه عنه أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة أربع وثمانين وثلثمائة للهجرة، وإما السكري فيروي عنه الأصمعي، أو بعض تلاميذه؛ والمعروف حتى الآن من ديوان الهذليين أربعة مخطوطات وخمسة مطبوعات[4].

(1) مخطوط ليدن وباريس:

(1) توالي التاسيس بمعالي ابن إدريس، ابن حجر، المطبعة المعاصرة ببولاق، سنة 1301هـ ، ص 59.
(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج1، بيروت، 1986م، ص 160.
(3) معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ط1، ص 109.
(4) شعر الهذليين ، أحمد كمال زكي، دار الكاتب، القاهرة، 1969م، ص 118.

أما أكبرها فهو مخطوط ليدن، ويجمع عدداً كبيراً من شعراء هذيل، وتعرض لكثير من الأيام والحوادث التي ترتبط إرتباطاً شديداً بالذكريات التاريخية للقبيلة ويعتبر بحق أهم مرجع للدواوين التي طبعت فيما بعد.

وذكر أن الذي كتب مخطوط ليدن محمد بن علي العتابي المتوفي سنة 484 كتبه عام 529 أو 539 هجرية من نسخة لأحد علماء اللغة. وفيه أيضاً أن العتابي قابل نسخة ذلك العالم بنسخ الجواليقي والحميدي وغيرها لتكون بذلك أصح مخطوط لشعر هذيل، تضمنت كثيراً من الشروح والتعليقات.

وعلى الرغم من أن عدد أوراقه أربع ومائتان، فهو ليس إلاّ الجزء الثاني من أشعار هذيل. وأما الجزء الأول فلم يعثر عليه ولا يظن أن أحداً يملكه.

ويقول الأستاذ دوزي صاحب المخطوط إنه رأى على غلافه ورقة صغيرة ملصقة على عبارة، فلما رفعها قرأ هذه الكلمات:

الجزء الثاني

نسخة العتابي

(2) مخطوط الشنقيطي:

نسخة خطية هامة اعتمدت عليها دار الكتب في إخراج ديوانها عن هذيل. وهذه النسخة من كتب العالم المغربي محمد محمود الشنقيطي، وهي محفوظة في الدار تحت رقم 6 أدب ش. والطريف انها قسم صغير ضمن مجموعة ضخمة تشتمل على جملة دواوين منها ديوان حسان بن ثابت وديوان لبيد وديوان الشماخ وديوان الأعشى وغيرها، وتضم واحداً وثلاثين شاعراً من شعراء هذيل، وديوان الهذليين الذي تشتمل عليه مجموعة الشنقيطي ليس من خطة وإن كان مكتوباً كله بالخط المغربي، بعكس بعض المجموعة، فهو مخطوط خطاً فارسياً حسناً . ويلاحظ أن كل ما فيه من شعر ضبط ضبطاً لا بأس به يتخلله بعض الاضطراب أحياناً . وفي حواشيه تعليقات وشروح كتبت

بخطٍ مغربي في منتهى الدقة، ولا شك أنها بيد الشنقيطي نفسه، قيدها في أثناء قراءته للديوان[1].

(3) ديوان أبي ذؤيب:

أما المخطوط الأخير فهو (ديوان أبي ذؤيب) من كتب الشنقيطي أيضاً، ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم 19 أدب ش. ويلاحظ أن كل ما فيه من شعر بخط فارسي واضح ومداده أحمر، وعقب لك بيت نرى ما قيل فيه من شروح وملاحظات تضاف إلى السكري. وهي طويلة مسهبة. يأتي فيها صاحبها بآراء كثير ويعلق عليها، وفي حواشيه استدراكات وملاحظات مكتوبة بخط مغربي وإن كان بعضها فارسي الخط، ويظهر أنها للشنقيطي نفسه.

والمخطوط كله يقع في أربع وأربعين ورقة من الحجم الصغير، وفي أوله كتب بالخط المغربي : ديوان أبي ذؤيب

(4) كتاب شرح أشعار الهذليين:

هو مجموعة أوروبا الأولى، طبع في لندن سنة 1854 ميلادية ويشتمل شروح السكري، وهو منقول عن مخطوط ليدن باسم:

كتاب شرح أشعار الهذليين

صنعه أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري

رواية أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي

عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عنه

وقد حققها وقدم لها بمقدمة قصيرة باللغة الإنجليزية المستشرق جودفري كوز جارتن. ويشتمل على ثمانية وعشرين شاعراً، وتحدث في المقدمة عن الشعر العربي عامة، وعرض للمفضليات ووقف عند ديوان الحماسة قبل أن يتلكم عن ديوان الهذليين.

(1) شعر الهذليين، أحمد كمال زكي، ص 221.

وتحدث السكري، ونقل ما يذكره السيوطي عنه، وقال : إنه ولد سنة 212هـ ومات سنة 275هـ أو سنة 270هـ على ما يقوله الزبيدي. ثم تكلم عن هذيل وصعد بنسبها إلى مدركه وعدّد بطونها وحدَد مكانها.

وبعد ذلك ذكر أن الرماني هو الذي روى الأشعار التي تتضمنها نسخة ليدن، وهذا رواها عن الحلواني عن السكري. ثم أخذ يعلق على المخطوط نفسه وذكر ما أوردناه فيه. وفي النهاية قال :(والجزء الثاني من هذا المؤلف سيصدر في العام القادم حاوياً ترجمات لقصائد موجودة في مخطوط ليدن، وستضاف إليه ملاحظات تاريخية للسكري. أما الجزء الثالث فستكون في البقية من المخطوط العربي مطبوعات كالجزء الأول وفيه القصائد وشروحها.

أصدر سنة 1884 شرح أشعار الهذليين ما بقى منها في النسخة اللعزونية غير مطبوع. ويلي المقدمة أسماء الشعراء الهذليين الذين ورد ذكرهم في الديوان وهم ثمانية وعشرون بإسقاط (سريع بن عمران) لأنه لم يرد له أي شعر.

(5) البقيـة:

والمجموعة الثانية هي نفسها (شرح أشعار الهذليين ما بقى منها في النسخة اللعزونية غير مطبوع) التي طبعها في برلين للمستشرق الألماني وأول ما فيه من شعر لعبد مناف بن ربع وهي قصيدته التي مطلعها:

مـــاذا يغيـــر ابنتـــي ريـــعٍ عويلهمـــا
لا ترقْـــدان ولا يؤســـي لمـــن يرقـــدا[1]

وتحمل رقم 139 وما قبلها طبع في لندن قبل ذلك بثلاثين عاماً وتضم هذه المجموعة كثيراً من أيام هذيل ووقائعها.

(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج2، ص 671.

(6) مجموعة أشعار هذيل:

وهذه ثالث مجموعة تطبع في أوروبا. وهي جزءان. كتب على الجزء الأول منها (مجموع دواوين من أشعار الهذليين) وهو يشتمل على ديوان أبي ذؤيب، اعتنى بنشره واستخراجه لأول مرة المستشرق الألماني يوسف هل وذلك سنة 1926م.

أما الجزء الثاني يشتمل على شعر أربعة شعراء لهذيل وهي :(أشعار ساعدة بن جؤيه وأبي خراش والمتنخل وأسامة بن الحارث) .

كذلك اعتنى بنشرها يوسف هل وطبعها في ليسنبيرج سنة 1933م. وقد طبعت المجموعتان الأولى والثانية عن نسخة مخطوطة مضبوطة قديمة محفوظة في ليدن كتبت في سنة 529 . 539هـ كتبها محمد بن علي بن إبراهيم ابن زبرج العتابي[1]، وقد نقلها من نسخة بخط السمسمي[2]، وذكر العتابي في آخر المخطوطة أنه قابلها أيضاً بنسخ أخرى، منها نسخة خط شجة الجواليقي، ونسخة بخط الحميدي[3].

هذه النسخة تنتهي في رواياتها إلى السكري، غير أنها ناقصة والموجودة منها هو الجزء الثاني فقط، وهو المطبوع في لندن سنة 1854م، وفي برلين سنة 1884م.

(7) ديوان الهذليين:

وهو الديوان الذي طبعته دار الكتب المصرية ناقلة فيه كل ما أورده الشنقيطي في نسخته الخطية، وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء، إخراج كل قسم إخراجاً حسناً، إلاّ أن قيمة كل قسم تتفاوت بمقدار ما فيه من تعليقات أثبتتها الدار في الهوامش.

والديوان صورة ممتازة لكل ما جاء في مجموعة الشنقيطي وقد بذل المشرفون عليه جهداً ملحوظاً في إصلاح ما وقع من أخطاء في هذه الشروح التي نقلها العالم المغربي عن ابن سعيد.

---

(1) ولد سنة 484 وتوفي سنة 556هـ إماماً في النحو وعلوم العربية،مشهوراً بجودة الخط مع الصحة والضبط، قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري واللغة على الجواليقي.

(2) أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار، كان صدوقاً صاحب خط متقن مرغوب فيه لتحقيقه، تصدر ببغداد للرواية، وأقرأ الأدب، توفى 415.

(3) شرح أشعار الهذليين، السكري، تحقيق عبد الستار أحمد، ج1، ص 4.

الأقسام الثلاثة تتفاوت قيمتها بمقدار ما تراه من تفاوت من تقييداتها، القسم الأول باستثناء عينية أبي ذؤيب فإن حظه من الاهتمام أكبر من حظ القسم الثاني، أما القسم الثالث نجد أنه دون أخوية أنه أصبح أقل الثلاثة حجماً . على أن الثلاثة تشترك في شيء هام هم إصلاح الخطأ[1]، وإكمال الناقص، وضبط ما النسب من الألفاظ[2].

مصـادر أخرى:

لا شك أن الدواوين أوفر المصادر نفعاً، وأجلها خطراً، وأحقها بالرجوع إليها والاعتماد عليها، فهي المتن قبل كل شيء، وهي النافذة الكبرى التي تنظر خلالها إلى القبيلة، ولكن هناك أيضاً هذه الكتب التي فيها المختار من أشعار العرب. لدينا المفضليات مثلاً والحماسة ولدينا الكتب الأخرى من كتب الأدب كالخزانة والأمالي،ثم لدينا المعجمات وهي مصدر مهم لشعر القبيلة.

(1) كتاب الأغاني:

وأول هذه المصادر وأكثرها نفعاً هو كتاب لأبي الفرج. ففي الأغاني ترجمات وافية لكثير من شعراء هذيل وأكثر من قصيدة لكل شاعر وفيه كذلك كثير من الأخبار والروايات التي تكشف لنا عن بعض جوانب الحياة القبلية.

(2) الشعر والشعراء:

هذا الكتاب لابن قتيبة المتوفي سنة ست وسبعين ومائتين وهو لون من ألوان البحث الأدبي يمتاز به القرن الثالث الهجري ونجد شبيهاً به كتاب الطبقات لابن سلام الجمحي (ت سنة 232هـ) عرض ابن قتيبة لبعض الهذليين أو المشهور منهم وأورد أشعار لهم، دون أن يتناولها بالدرس.

---

(1) لا يعني ذلك اصلاح كل الخطأ كما لا يعني أن عمل الدار كان أوفى من كل ما صدر، فلامية بن أبي عائذ مثلاً نونية تبلغ 51 بيتاً ولم تذكرها،وله صادية أبياتها 29 وقد ذكرت فيهما سبعة فقط، وفي الجزء الثالث روت قصيدة للمعطل زاعمة أنها لم ترد في البقية مع أنها وردت. وقد استدرك عبد الستار فراج عليها استدراكات مهمة يكفي أن نذكر منها أنها قدمت نحو 2300 بيت ومشطور حيث قدم هو ـ فيما حققه ـ 4600 وذكرت هي 33شاعراً وقدم هو أكثر من 120.

(2) سنرمز لهذا الديوان فيما بعد بكلمة (الديوان).

(3) كتاب الحماسة:

لأبي عبادة البحتري، ذلك أن أبا تمام لم يذكر في حماسته إلاّ ثلاث مقطعات إحداهما لأبي كبير واثنتان لأبي صخر، أما حماسة البحتري فهي حافلة بأشعار الهذليين.

(4) كتاب الأمالي:

وهي التي أملاها أبو علي إسماعيل بن القاسم الغالي البغدادي المتوفي بقرطبة سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وتعد الأمالي مصدراً نافعاً لشعر هذيل من ناحية كونه أداة يستخدمها علماء اللغة في تفسيرها وشرح غريبها.

(5) كتاب خزانة الأدب للبغدادي:

والخزانة أحد الكتب التي ألفت في سبيل اللغة والنحو برغم أنها تحوي حشداً هائلاً لأنواع المعارف المختلفة.

وقد استطاع البغدادي أن يحصل على شواهد نادرة من أشعار القبائل وكان خط هذيل من عنايته كبير.

(6) كتب اللغة والمعاجم:

لا نريد أن نعيد القول فيما قلناه من قبل من أن علماء اللغة هم الذين حفظوا لنا أشعار هذيل، فمن الطبيعي أن ننظر في كتبهم لنرى إلى أي حد استشهدوا بشعر هذه القبيلة، وفسروا به غريب اللغة وغير ذلك.

المبحث الثاني: مكانة شعر الهذليين ونماذج أشعارهم:

تطرق الشعراء الهذليين في شعرهم لمختلف أغراض الشعر أهمها:

(1) الرثاء :

اشتهروا به لكثرة موتاهم في الغزوات الفردية والجماعية، ومن هنا كان رثاؤهم صادم مؤثراً لأنه يصدر عن نفس حرى وقلب مكلوم.

ومن رثائهم المشهور قصيدة لأبي تغلب الهذلي يندب فيها الذين ماتوا بسبب الطاعون في الشام ومصر، ومطلعها:

أَرِقْتَ وَمَا لَكَ أَلاَّ تَنَامَا وَبِتَّ تُكَابِدُ لَيْلاً تِمَامَا [1]

وهي قصيدة طويلة من واحد وستين بيتاً كلها في الرثاء، تناول فيها المرثيين واحداً واحداً، يمجدهم ويبين فضائلم، فهم كرماء شجعان يأبون الضيم، أبطال في الحروب.الخ.

ديوان الهذليين يحوى صوراً أخرى من الرثاء، وهو ما يسمى بالعزاء، فالموت كأس يذوقها الجميع، وسنة الحياة هي التغيير لا البقاء على حال واحدة.

وقد اخترت من هذا الاتجاه هذه الأبيات لجنوب أخت عمرو ذي الكلب:

كُلُّ ٱمْرِئٍ بِطَوَالِ ٱلْعَيْشِ مَكْذُوبُ وَكُلُّ مَنْ غَالَبَ ٱلأَيَّامَ مَغْلُوبُ
وَكُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ ٱللهِ مِنْ رَجُلٍ مُودٍ فَمُدْرِكُهُ ٱلشُّبَّانُ وَٱلشِّيبُ
وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُمْ يَوْمًا طَرِيقُهُمُ فِي ٱلشَّرِّ دُعْبُوبُ

فالشاعرة تستهل قصيدتها بالاستسلام للقدر وإن الموت نهاية كل حيّ. فالموت هو محنة كل الناس جميعاً ولا يستطيع أحد ما رداً، ونزعة الاستسلام هذه نجدها في الشعر الجاهلي قبل أن يأتي الإسلام فيحولها إلى نزعة تسليم لله ورضاء بقضائه وقدره والصبر على امتحانه اقتداء بقوله تعالى :(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)[1].

(2) الغزل:

يضم ديوان الهذليين بين دفتيه شعراً غزلياً جميلاً وإذا كان النقاد قد قسموا الغزل إلى قسمين هما: الغزل والنسيب، فإن الهذليين طرقوا الجانبين، فلهم

---

[1] شرح أشعار الهذليين، السكري، ج2، ص 889.

[1] سورة آل عمران، الآية: (185).

في الغزل قصائد كثيرة صوروا بها جمال المرأة وشبهوا أجزاء جسمها بأجمل مظاهر الطبيعة.

(3) الوصف:

وصف الهذليون كل ما وقع تحت أعينهم، فوصفوا االمطر والبرق ووصفوا حيوانات بيتهم وصفاً دقيقاً، منها حمر الوحش والبقر والفرس والناقة وذكروا الحمام ونوحه وما يثيره فيهم من شجن كل ذلك سنتناوله في الفصل الثالث بالتفصيل. كما وصفوا الطرق التي سلكوها والمعارك التي خاضوها والانتصارات التي حققوها، ووصفوا الخمرة وتأثيرها في شاربها.

أما الأغراض الأخرى كالمديح والهجاء، فلم أر لدى الهذليين اهتماماً كبيراً بها، ولكن ظهرت عندهم النقائض، ويمثل هذا الاتجاه شعر صخر الغي وأبي المثلم اللذين كانا بطلي المعركة.

ويروي أن السبب في اشتعال نار العداوة بينهما أن صخر الغي قد قتل جاراً لآل المثلم، فحرض أبو المثلم قومه عليه وأمرهم أن يطلبوا بدمه، فبلغ ذلك صخر الغي فأخذ يتهدد ويتوعد وقال:

لَيْتَ مُبَلِّغاً يَأْتِي بِقَوْلِي ... لِقَاءَ أَبِي الْمُثَلَّمِ لاَ يَرِيثُ
فَيُخْبِرَهُ بِأَنَّ الْعَقْلَ عِنْدِي ... جُرَازٌ لاَ أَفَلُّ وَلاَ أَنِيثُ
بِهِ أَقِمُ الشُّجَاعَ لَهُ حُصَاصٌ ... مِنَ الْقَطِمِينَ إِذْ فَرَّ اللُّيُوثُ
سَمِعْتُ وَقَدْ هَبَطْنَا مِنْ غُمَارٍ ... دُعَاءَ أَبِي الْمُثَلَّمِ يَسْتَغِيثُ
يُحَرِّضُ قَوْمَه كَيْ يَقْتُلُونِي ... عَلَى الْمُزَنِّي إِذْ كَثُرَ الْوُعُوثُ
وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ دُعَاءَ دَاعٍ ... أَجَبْتُ فَلاَ أَلَفُّ وَلاَ مَكِيثُ
أَلاَ قُولاَ لِعَبْدِ الْجَهْلِ إِنَّ الصَّـ ... ـحِيحَةَ لاَ تُحَالِبُهَا الثَّلُوثُ (1)

(1) شرح أشعار الهذليين ، السكري، ج1، ص 262 – 263.
الوعوت : الشدة والشر، الفف : ثقل اللسان، برجت : يبطئ
الأقل : الذي به تكسر ، الجزار : القاطع ، الفطيم : الهائج

فأجابه أبو المثلم:

أَنَسْلَ بَنِي شِعَارَةَ مَنْ لِصَخْرٍ ... فَإِنِّي عَنْ تَقَفُّرِكُمْ مَكِيثُ
لَحَقُّ بَنِي شِعَارَةَ أَنْ يَقُولُوا ... لِصَخْرٍ أَلَغَىً مَاذَا تَسْتَبِيثُ
مَتَى مَا تُنْكِرُوهَا تَعْرِفُوهَا ... لَدَى أَقْطَارِهَا عَلَقٌ نَفِيثُ
فَإِنْ تَكُ قَدْ سَمِعْتَ دُعَاءَ دَاعٍ ... فَغَيْرِي ذٰلِكَ الدَّاعِي الْكَرِيثُ
لَعَلِّي إِنْ دَعَوْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ ... إِلَى خَيْرٍ لِتَأْتِيَهُ تَرِيثُ
وَمَنْ يَكُ عَقْلُهُ مَا قَالَ صَخْرٌ ... يُصِبْهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ خَبِيثُ
أَلَا قُولَا لِعَبْدِ الْجَهْلِ إِنَّكَ ... حَيَاةَ لَا تُحَالِبُهَا الْتَّلُوثُ

نماذج من أشعارهم:

قال أبو ذؤيب يرثي أبنائه الخمسة الذين ماتوا في عام واحد بسبب مرض الطاعون الذي حلّ بمصر:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ... وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا ... مُنْذُ ابْتَذَلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِجَنْبِكَ لَا يُلَائِمُ مَضْجَعًا ... إِلَّا أَقَضَّ عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَأَجَبْتُهَا أَنَّ مَا لِجِسْمِيَ أَنَّهُ ... أَوْدَى بَنَيَّ مِنَ الْبِلَادِ وَوَدَّعُوا (1)

في البيت الأول يسأل نفسه التي تتوجع ألماً وحسرة على من فقدت ذاكراً أن الدهر لا يعزي من ينكب، ولا يتراجع عما يفعل، إذن لا فائدة من الحزن والتوجع.

التلوث : للناقصة خلقاً.

(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، 4، 5، 6، الديوان ، ص 1. المنون: المنية، ريبة : ما يأتي به من الفجائع وإلى صائب، الدهر : الموت، الشاحب: المتغير المهزول، لا يلائم : لا يوافق ، منذ ابتذلت : منذ توليت العمل، الايداء: الهلاك، أقض عليك : صار تحت جنبك مثل قصص الحجارة، وهي تراب وحجارة صغار، ودعوا : ذهبوا وماتوا.

أما البيت الثاني فيستهله بسؤال أميمة عن حاله، وسبب ذلك الشحوب الذي أصابه ليؤكد بأن المصيبة كانت فادحة وإن آثارها بارزة للعيان.

قال أمية بن أبي عائذ الهذلي:

لَيْلَى وَمَا لَيْلَى وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا بَيْنَ ٱلسَّمَا وَٱلأَرْضِ ذَاتَ عِقَاصِ
بَيْضَاءُ صَافِيَةُ ٱلمَدَامِعِ هُولَةٌ لِلنَّاظِرِينَ كَدُرَّةِ ٱلغَوَّاصِ
كَالشَّمْسِ جِلْبَابُ ٱلغَمَائِمِ دُونَهَا فَتُرَى حَوَاجِبُهَا خِلاَلَ خَصَاصِ
وَكَأَنَّهَا وَسْطَ ٱلنِّسَاءِ غَمَامَةٌ فَرَعَتْ بِرَيِّقِهَا نَشِيءَ نَشَاصِ(2)

(هولة) : أي تهول الناظرين من حسنها، تهول من رآها بحسنها، وروى الأصمعي: (صفراء صافية المدامع). (فرعت)، أي ارتفعت. و (النشئ) ما نشأ، وهو بذرة وظهوره. (ونستأص) سحاب رفيق أبيض.

وقال سهم بن اسامة بن الحارث[3]، يشتبب بامرأة من قومه، وهي ليلى بنت الحارث الزلفية[4]، رواها أبو عمرو، والجمحي، وأبو عبد الله ولم يروها الأصمعي:

أَلاَ أَرَّقَتْنَا بِالسُّرَى أُمُّ نَوْفَلِ فَأَهْلاً بِذَاكَ ٱلطَّارِقِ ٱلمُتَغَلْغِلِ (1)

قال أياس بن سهمٍ، عن أبي عبد الله، والجمحي:

جَلَتْ سَلْمَى وَزَايَلَتِ ٱلقَرِيناَ وَلَمَّا تُطْلِقِ ٱلقَلْبَ ٱلرَّهِينـاَ
وَفَجَّعَكَ ٱلفِرَاقُ بِأُمِّ عَمْرٍو غَدَاةَ تَحَمَّلَتْ فِى ٱلظَّاعِنِينَا(2)

(القرين)، من كان يقارنك، يعني نفسه

(الظعيتة)، المرأة على بعيرها في هودجها.

---

(2) المرجع السابق، ص 489. في نسخة (بين) وفوقها (وسط) وعلمها فتح.
(3) سهم بن أسامة بن الحارث: وهو أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل.
(4) في نسخة (بنت ابن الحارث).
(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، ص 522.
(2) المرجع السابق، ص 542.

قال حذيفة بن أنس[3]، يجيب على البريق بن عياض بن خويلد الليحاني:

أَلاَ أَبْلِغَا جُلَّ السَّوَارِى وَجَابِراً وَأَبْلِغْ بَنِي ذِي السَّهْمِ عَنِّي وَيَعْمَرَا

وَقُولاَ لَهُمْ مِنِّي مَقَالَةَ شَاعِرٍ أَلَمَّ بِقَوْلٍ لَمْ يُحَاوِلْ لِيَفْخَرَا (4)

(السواري): قوم يقال لهم (بنو سارية)، من بني عبيد بن بكر بن كنانة (ويعمر) قبيلة من نفاثة بن كنانة. (ألّم به)، أي جاء به صادقاً لم يأذيه ليفخر. (يحاول): يطلب . يقول : أتى قولاً لم يرد به الفخر. ويروي (ألّم بقول).

قال عمرو ذي الكلب[5] :

غَزِيَّةُ آذَنَتْ قَبْلَ الزِّيَالِ وَأَمْسَى حَبْلُهَا رَثَّ الوِصَالِ

وَأَمْسَتْ عَنْكَ نَائِيَةً نَوَاهَا بِشُقَّةِ شُنَّإٍ غُـــرِّ السِّبَالِ (1)

لم يروِ هذين البيتين الأصمعي ورواها أبو عمرو وأبو عبد الله (غَزية)، إمرأة و (الزَيال) ، المفارقة، (إيلته زيالاً) (الشنأ) الأعداء، وأحدهم (شانّي)، وهو المبغض. و(غُرٌّ) بيضُ . وانشد لزهير ابن جناب:

فى آل مُرَّةَ شُنَّأٌ لى قَدْ عَلِمْتُ وَآلِ مُرَّهْ

سَادَاتُ قَوْمِهِمُ الأُلَى مِنْ وَائِلٍ وَأُلَى بِحَرَّهْ

وَلِكُلِّهِمْ أَعْدَدْتُ تَيَّـــاحًا تَمُرُّ لَهُ الأَجِرَّهْ(1)

(الأجَّرة) جمع جرير . و (تياج)، فرس سريع، (مرة بن ذهل بن شيبان) و (مُرَّة بن قيس عيلان بن غطفان).

قال ابن تُرْنا يجيب عمراً، عن أبي عبد الله وحده:

---

(3) حذيفة ابن أنس، ابن الواقعة وهي أمه، هو أخو بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل.

(4) المرجع السابق، ص 554.

(5) عمرو ذي الكلب بن العجلان بن عامر بن برد بن منيه هو أحد بني كاهل وكان جاراً لبني هذيل قال : منهم من يقول عمرو ذو الكلب، وعمرو الكلب، سمي بذلك لأنه كان معه كلب لا يفارقه. قال ابن حبيب وأبو عبيد الله : هو أحد بني لحيان من هذيل، وإنما سمي ذا الكلب، لاهـ خرج في سرية من قومه وفيهم رجل يدعى عمراً، وكان مع عمرو هذا كلب، فسمى ذا الكلب.

(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، ص 565.

(1) شرح أشعار الهذليين، ص 566.

قَرِيبَةُ قَدْ نَأَتْ غَيْرَ الشُّؤَالِ وَأَمْسَتْ مِنْكَ نَائِيَةَ الْوِصَالِ
وَأَمْسَتْ مِنْكَ نَائِيَةً وَحَلَّتْ بِبَلْدَةِ شُنَّأٍ صُهْبِ السِّبَالِ (2)

(نائيه)، بعيدة، (وشنأ) ، أعداءواحدهم (شَانّي) .

وقالت جنوب ترثي عمراً (3).

يَالَيْتَ عَمْرًا وَمَا لَيْتٌ بِنَافِعَةٍ لَمْ يَغْزُ فَهْمًا وَلَمْ يَهْبِطْ بِوَادِيهَا
شَبَّتْ هُذَيْلٌ وَفَهْمٌ بَيْنَهَا إِرَةً مَا إِنْ تَبُوخُ وَمَا يَرْتَدُّ صَالِيهَا (4)

(والإره)، حفرة يوقد فيها. (ماتبوح)، ما تسكن. (وما يرتد صاليها) ، أي ما ينزع عنها.

وقالت أخت عمرو ذي الكلب ترثيه. قال أبو عمرو: قالتها عمرة بنت العجلان، أخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي، ترثي أخاها عمراً، لم يروها أبو نصر:

سَأَلْتُ بِعَمْرِو أَخِي صَحْبَهُ فَأَفْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّؤَالاَ
فَقَالُوا أُتِيحَ لَهُ نَاعِمٌ أَعَزُّ السِّبَاعِ عَلَيْهِ أَحَالاَ (1)

(أخي صَحْبه)، ويروي : (أخا صحبةٍ).

(رَدّوا)، ويروي : (رَدّ) (اتيح له) قضى له، قدر له.

(أحالَ)، حمل عليه فقتله وأكله.

قال سريع ابن عمران الصاهليرثي عمراً :

كُلُّ امْرِئٍ بِطَوَالِ الْعَيْشِ مَكْذُوبُ وَكُلُّ مَنْ غَالَبَ الأَيَّامَ مَغْلُوبُ (2)

(مكذوب) : أي يكذب بأن ينال طول العيش، تلذ به نفسه بالأماني تقول له: يطول عمرك، وكلّ من غالب الغدر عليه القدر قريب من بيت المتنبي:

---

(2) المرجع السابق، ج2، ص 573.
(3) هي أخت عمرو ذي الكلب.
(4) المرجع السابق، ج2، ص 582.
(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج2، ص 583.
(2) المرجع السابق، ج2، ص 578.

كــل ابــن أنثــى وإن طالــت ســلامته

يومــاً علــى آلــة حــدباء محمــول

قال مالك بن الحارث[1]:

تَقُولُ العَاذِلاتُ أَكلَّ يَوْمٍ لِسَرْبَةِ مَالِكٍ عُنُقٌ شَحَاحُ[2]

(سرية) جماعة. و (الرجلة)، هم الرجالة. و (عنق من القوم)، أهل شدة وبصر، كأنهم استنحاء على ما في أيديهم. و (عنق) من السير. قال الجمحي : (عنق)، أوائلهم، (رأيت عنقاً من القوم، ومن الظباء).

قال الأعلم[3]:

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلقَوْمَ بِالعَلْيَاءِ دُونَ قِدَى ٱلمَنَاصِبْ [4]

وَفَرِيتُ مِنْ فَزَعٍ فَلاَ أَرْمِي وَلاَ وَدَّعْتُ صَاحِبْ

(القدى) القدر، (المناصب)، الرامي برميك وترميه. (المناصب). بلد. و (المناصب)، الأغراض والمرامي.

(فريت)، بطرت، فلم أقدر على الرمي. (فريتُ)، عجبت، من (لقُزيّ) و(الفريّ)، اعجبُ وقوله عز وجلّ :(لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً)[4]. عجيباً. و(فريتُ) بالفتح، أسرعت. قال :(فُريت)، تحيرتُ، (حار الرجلُ) و (بطر) و (وَرِيَ). (ولا ودَعَت صاحب)، أي لم أسلم عليه.

قال ساعدة بني العجلان يرثي مسعوداً :

---

(1) مالك بن الحارث، أخو بني مالك ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وقال الجمحي، أخو بني كاهلٍ، حلفاء هذيل، وكاهلٌ أخو تقيرن.

(2) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، ص 237.
في نسخة ضبطت (عنق) بفتح السين والنون وضمها وعليها معاً وضبطت شحاح بفتح الشين وكسرها وعليما معاً.

(2) حبيب بن عبد الله وهو أخو صخر الغي الهذلي ثم الختمي وأخوه صخير.

(3) المرجع السابق، ص 312.

(4) سورة مريم، الآية : (27).

لَمَّا سَمِعْتُ دُعَاءَ صَنْعَرَةَ فِيهِمُ وَذَكَرْتُ مَسْعُوداً تَبَادَرَ أَدْمُعِي
فَلَقَدْ بَكَيْتُكَ يَوْمَ رَجْلِ شُوَاحِطٍ بِمَعَابِلٍ صُلْعٍ وَأَبْيَضَ مِقْطَعِ (1)

تبادرت سيلاناً .و (لما رأيت عدى ضمرة)

ويروي :(بمعايل نجف) (شواحط)، وادٍ. و (رجل)، رَجّالة (والمعبلة) سهم عريض النصل. (والنجيف)، العريض. و(مقطع)، سيف قاطع. ويروي:(جزع شواحط). يقول : كان بكائي إياكياك أن رميت الذين قتلوك. و (صلع)، براقة. الباهلي: جعل يرميهم وينادي أخاه، فذلك بكاؤه إياه. يقول كان بكائي إياك أن طلبت بدمك.

قال أبو جندب[2]: يعاتب رجلاً من قومه يقال له (سفيان ذو الزرين بن مليحم القردي) وقال الجمحي :(ابن ملجيح) لم يروها أبو نضر:

لَعَمْرُكَ مَا سُفْيَانُ عَنِّي بِمُقْصِرٍ وَلَوْ كَانَ دُونِي زَاخِرَانِ مِنَ الْبَحْرِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَقْصَرْتُ إِنْ كَانَ نَافِعِي وَأَقْصَيْتُ دَارِي دُونَ دَارِ بَنِي بَكْرِ (3)

(زاخُر) مرتفع، يقال :(زخر)، ارتفع ماؤه. أي لو كان بيني وبينه بحر لم يكف عنّي.

(بكر بن مناة ن كنانة) . ويروي : (دار أبي بكر)، بن جعفر ابن كلاب.

قال معقل بن خويلد[1]:

أَلاَ مِنْ حَوَالِ الدَّهْرِ أَصْبَحْتُ جَالِسًا أُسَامُ النِّكَاحَ فِي خِزَانَةِ مَرْثَدِ
إِلَى مَعْشَرٍ لاَ يَخْتُنُونَ نِسَاءَهُمْ وَأَكْلُ الْجَرَادِ فِيهِمُ غَيْرُ أَفْنَدِ

(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، ط. لندن، ص 340.
(2) حدثنا الحلواني قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال : أخبرنا محمد بن الحسن قال: قال عبد الله بن إبراهيم الجمحي، أبو عبيدة : كان بنو مرة عشرية رهط، أبو خراش وأبو جندب والأرح والأسود وأبو الأسود وعمرو وزهير وجناد وسفيان وعروة، بنو مرة احد بني قرد بن معاوية بن تيمم بن سعد بن هذيل وفرق هو عمرو وكانوا دهات شعراء.
(3) المرجع السابق، ص 367.
(1) معقل بن خويلد بن وائلة ن محطل. حدثنا الحلواني قال، حدثنا أبو سعيد قال، قال الجمحي وحده: كان ابن حية، ابن عم لمعقل بن خويلد، أمسك أسيراً كان في يده أبي أن يدفنه إلى معقل وكان الأسير ذا شرف من أهل اليمن، أراد أن يفتدي به، ففي ذلك أوعد معقلاً بالسيف، وكان أبو يكسوم قد عرض على معقل لينكحه ويقعده عنده، فقال معقل في ذلك، قال الأصمعي: بل قالها خويلدٌ أو معقل هذا، وهو عند مسلك الحبشة، ورواها ابن الاعرابي لخويلد أيضاً.

فَقُلْتُ لَهُمْ قَوْمٌ بِأَعْنَـــاءِ نَخْلَةٍ وَأَحْوَالِهَا فِيهِمْ قَرَارِي وَمَوْلِدِي (2)

(حوال) تغير، (حال يحول حوالاً). (أسام)، الكف و (خزانته)، بيته. و(مرتد)، رجل متهم.

(القنذ) ، الحُمق، يقول : لا منكر فيهم أكل الجراد.

أي فقلت: القوم اذين انكح فيهم، (هم قوم بأعناء نخلة).

و (الأعناء) النواصي، و (نخلة)، بلد في طريق مكة.

قال أبو العيال[3] يرثي ابن عمر له يقال له (عبد الله بن زهرة الهذلي)[4].وقتل بالقسطنطينية، قتله الروم في زمن معاوية:

فَتَى مَا غَادَرَ الأَقْوَامُ لاَ نِـكْسٌ وَلاَ جَنَبُ
وَلاَ زُمَّيْـــلَةٌ رِعْدِيدَةٌ رَعِشٌ إِذَا رَكِبُوا (1)

(النكس) سهم نكس فجعل أعلاه أسفله. وهذا مثلُ. (جنب) أراد (جانب) و (الجنب)، القصير. و (الزميل)، الضعيف يتزمل في ثوبه وينام. و (الرعديدة)، الجبان، و (الرعش) المضطرب من الجبن. قال، قوله :(فتى ما) على التعجب أراد أي فتى غادروا! ومثله قول ليلى[2]:

فـــإنْ تكـــن القتلـــى بَـــواءً فـــإنكم
فتـــى مـــا قلـــتم آل بـــن عـــامر

(2) شرح أشعار الهذليين، للسكري، ج1، ص 393.
(3) حدثا الحلواني قال، حدثنا أبو سعيد السكري قال، قال الجمحي: كان رجلان من هذيل، ثم من بني خناعة بن سعد بن هذيل، يكتنان مضر، أحدهما يقال له (بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبي غنيم).
(4) في المطبوع : (عبد الله بن زهرة) وضبطت (زهرة) في نسخة بفتح الزاي وضمها وعيهما معاً.
(1) شرح أشعار الهذليين، للسكري، ج1، ص 423.
(2) ليلى الأخيلية، الأغاني، 192/11/ 214، ثقافة.

أرادت: أي فتى قتلتم! أبو عمرو: (زميلة) مأخوذ من الرعدة، (زميل) و (زمال) وهو الضعيف المتزمل في ثيابه.

قال بدر بن عامر[3] مجيباً على ابو العيال:

أَزَعَمْتَ أَنِّي مُذْ مَدَحْتُكَ كَاذِبٌ فَشَفَيْتَنِي وَتَجَارِبِي تَشْفِينِي
وَزَعَمْتَ أَنِّي غَيْرُ بَالِغِ غَايَةِ الـــنُّجَبَاءِ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو تَلْوِينِ
فَوَدِدْتُ أَنَّكَ إِذْ وَنَيْتُ وَلَمْ أَنَلْ شَرَفَ العَلاَءِ وَفَضْلَهُ تَكْفِينِي [2]

يقول : شفيتني إذ علمت هذا ن رأيك، وما جربته منك يشفيني. (ذو تلوين)، أي لونك الدهر علّي، (ونيت)، فترت وضعفت يقول: وددت أنك تكفيني، ولا كفاية عندك.

قال مالك بن خالد الخناعي[*]، يفخر بيوم بني لحيان.

فِدًى لِبَنِي لِحْيَانَ أُمِّي وَخَالَتِي بِمَا صَعُوا بِالجِزْعِ رَجْلَ بَنِي كَعْبِ
وَلَمَّا رَأَوْا نَقْرَى تَسِيلُ إِكَامُهَا بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ وَحَامِيَـــةٍ غُلْبِ [2]

(ما صعوا)، قاتلوا و (الماصعة) المجالدة بالسيوف. (الجزع) منثى الوادي ومنقطعه. (رجل)، رجالة (أرعن) جيش كثير مثل (رعت الجبل) و (حامية)، قوم يحمون. (غلب) غلاظ الأعناق. (جرار) يجرّ جراً من كثرته. (نَقزي)، موضع، سكت القاف للحاجة. ويقال من (الأغلب) :(ما كان أغلب ولقد غلبَ).

قال مليح بن الحكم[3]:

مُشْتِ بِأَشْطَانٍ يَبُوصُ خِلاَجُهُ وَدَاعَ المُحَيِّ وَاخْتِلاَفَ الرَّسَائِلِ [4]

---

(3) بدر بن عامر من بني خناعة بن سعد بن هذيل.

[2] شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، ص 417.

(*) مالك بن خالد الخناعي، خناعة بن سعد بن هذيل.

(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج1، ط. لندن، ص 465.

(2) حدثنا ابو سعيد السكري قال، أخبرنا محمد بن جيب، عن أبي عمرو الشيباني وأخبرني محمد بن الحسن، عن أبي عمرو الشيباني وعبد الله بن إبراهيم الجمحي واخبرني ابن أبي علي الشيباني عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه، قالوا: قال مليح ابن الحكم بن صخر بن أقيصر بن عمير بن زيد بن أيا من بني سهم القردي، قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بننزار بن معد.

(3) المرجع السابق، ج3، ص 1020. في البقية (مُشتا).

(مشت)، مفرق و (الاشطان) الحبال، وإنما يريد الوصل، كما تقول: (قطع حبله)، إذا لم يصله. و (ببوص)، يسبق و (خلاجة) ما يذهب به، و (خلاجها) مردود على الاشطان، يقول: فذهابهم بمسبق أ، نودعهم أو نرسل إليهم رسولا.

قال أبو كبير الهذلي[5]:

فَإِذَا دَعَانِي الدَّاعِيَانِ تَأَيَّدَا وَإِذَا أُحَاوِلُ شَوْكَتِي لَمْ أُبْصِرِ (6)

(تايدا) تشردا. يقول: لا أسمع صوتاً فقد قد سمعي. (وإذا أحاول شوكتي) يعني شوكة تدخل رجله وفي بعض جسده.

قال أبي صخر الهذلي[1]:

تَعَزَّيْتُ عَنْ ذِكْرِ الصِّبَى وَالحَبَائِبِ وَأَصْبَحْتُ عِزْهَى لِلصِّبَى كَالمُجَانِبِ (2)

(المذهبي)، الذي لا يحب اللهو، يقال (رجل مذهاة) إذا كان لا يحب اللهو ولا النساء.

قال عبد الله بن مسلم[3]:

تَعَالَوْا أَعِينُونِي عَلَى اللَّيْلِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ لَا تَنَامُ طَوِيلُ (4)

قال إياس بن جندب[5]:

تَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنَا قُرَاهَا وَيَوْمُ لِقَائِنَا الشَّرُّ العَقَامُ (6)

---

(4) اسمه عامر بن الحديس أحد بني سعد بن هذيل، ثم أحد بني جريب.
(5) المرجع السابق، ج3، ص 1081.
(1) حدثنا ابو سعيد قال: قال أبو صخر الهذلي، واسمه عبد الله بن سلمة السهمي، ثم أحد بن
(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج2، ص 915.
(2) حدثنا أبو سعيد قال، قال عبد الله بن مسلم بن جندب بن حذيفة بن عمرو بن زهير ابن خداش بن عنبر بن خزيمة بن صاهلة بن كاهل بن الارث بن تميم بن سعد ابن هذيل، إسلامي.
(3) المرجع السابق، ج2، ص 909.
(4) إياس بن جندب بن المعترض. أخو بني عمرو بن الحارث.
(5) المرجع السابق، ج2، ص 836.

(فراع) (جمع)، (فرع) وهو الرجل الذي إذا هّم بالشيء أراده كع عنه. و (العقيم) و (العقام) الذي لا خير عنده ولا ثمرة. أبو عمرو: لا خير فيه (يوٌم عقيم).

قال ربيعة بن جحدر:

أَنَّى تَسَدَّى طَيْفُ أُمِّ مُسَافِعٍ ... وَقَدْ نَأَمَ يَا ابْنَ الْقَوْمِ مَنْ هُوَ نَاعِسُ (7)

(يا ابن القوم)، كما تقول: (يا ابن الكرام) هكذا رواية الأصمعي.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية في شعر هذيل:

فريق كبير من شعراء هذيل مخضرم شهد من الجاهلية حظاً وعاصر الإسلام في آخر حياته، بل لقد امتدت السنون ببعضهم إلى أيام عثمان؛ ثم ثبت أن ثمة شعراء عاصروا الأمويين كامية بن أبي عائذ وابي صخر وغيرهما. وكان بعضهم يروي للبعض الآخر فلم يثبت لي منه إلاّ ما روى عن أبي ذؤيب وأنه كان راوية لساعدة بن جؤية[1]، ولكني أعلم[2] أن بعض شعراء هذيل كانوا يجتمعون ولا شك أنهم كانوا ينصتون إلى

(6) المرجع السابق، ج2، ص 641.

(1) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار المعارف مصر، 1966م، ج2، ص 635..

(2) (لكني أعلم) قول دكتور أحمد كمال زكي.

أشعارهم ويتدارسونها، فمثلاً يروي أن حسان بن ثابت خرج من أهله يرتجز بأحياء العرب فمر بهذيل ورجز بهم بقوله:

هــل هنــا مــن ولــدِ فــرد مــن أَحَــدْ

يــــرد عـــنهم رجـــز اليـــوم وغـــد

فسمعه أبو ذؤيب وأبو خراش وأبو جندب وكانوا مجتمعين في خباء لهم. فلما سمعوه ابتدروا باب الخباء يسبقم أبو ذؤيب وهو يقول:

نعـــم لعمـــر الله ثبـــتُ دو عتـــد

إنــي لــذو اليــوم وذو أمــس وغــدْ

بنـــي . هــذيل وتمــيم وأســدْ

اِلمـــرئيين بـــأعلى ذي اللَّبـــدْ

لـــو وردوا البحـــر لأمســـي كالثمـــد

لـو زيـد فيهم ألـف ألـفٍ لـم يـزِدْ

أرجع إلى معزل تيساً ذا حيد[3]

والقصة تعنينا من ناحية دلالتها على ما وراء اجتماع الثلاثة؛ كان منهم صعلوكان من الذؤبان. ويروي أن المتنخل كان ينظر في شعر قومه فيحكم عليه ويسقط منه الردئ، وأظن أن للقبه في ذلك نصيباً، فهم اسم فاعل من تنخل، نخال نخلته أي تخيرته، فكأنك صفيته من نخالته[1].

وأرى إن كان للهذليين مهما قيل في أمرهم خصائص وصفات مشتركة. إنا قسمنا خصائصه إلى ثلاثة أقسام: قسم يعني بالناحية البنائية للقصائد، وقسم ثان يعرض بعض صفات موضوعية للشعر، وقسم أخير يفسر لنا كيف كان الهذليون يصوغون عباراتهم.

(3) ديوان أبي ذؤيب ليوسف هل 36 المرئيين من بني أمرئ القيس بن زيد مناة بن تميم.

[1] خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكاتب، القاهرة، ج2، ص 137.

أولاً : خصائص بنائية:

في هذا القسم لن نعدو بناء القصيدة فنسأل أكان للقصائد الهذلية بناء خاص، أهي طويلة مفرطة الطول أم هي قصيرة مفرطة القصر؟ أم كان الشعراء يتخذون في صياغتها طريقاً وسطاً ؟ وماذا يمكن أن نقول في وزن القصيدة وقافيتها ومطلعها؟ وكيف كانت الألفاظ التي تبني بها، أهي جزلة، أهي رقيقة ؟ أفيها غرابة؟ أفيها إسفاف؟، كل هذه مسائل لا بد إلى النظر فيها.

أ/ الكم:

نقصد به وحدات القصيدة أو عدد أبياتها، وجدنا منذ قديم عناية كبيرة بهذه الناحية، وعرفت طائفة من الشعراء بأصحاب المطولات، ونقل ابن قتيبة عن الأصمعي أنه قال : ما قبلت قصيدة عن الزاي أجود من قصيدة الشماخ ولو طالت قصيدة المتنخل كانت أجود[2].

حياة الهذليين كانت حياة شاقة كلها صراع وسرعة ونهب. ولقد كانت تغزو مجمعة، ومفردة، وكثر فيها الشذاذ حتى لقد عرفت بقبيلة الشذاذ. وكان في وجود عنصر الذؤبان فيها ما أضفى على معاشها شيئاً كبيراً من التوثب والاندفاع حتى لكأنما كان كل شيء يؤثر هذه الحياة السريعة التي تأتي أسبابها من أقرب سبيل حتى ولو كان فيه الخطر.

السرعة الفنية لا تميل كثيراً إلى التطويل ومن هنا جاءت قصائد الهذليين قصيرة حتى غلبت المقطعات على ديوانهم. وذلك أظهر ما يكون في العصر الجاهلي باستثناء بعض القصائد للمتنخل وأبي ذؤيب وساعدة بن جؤبه، حتى إذا تقدمت السنون، وقر الإسلام في نفوس الناس.

مسألة الكم ليست هينة، بل هي تتصل بحياة هذيل اتصالاً شديداً ونستطيع أن نلمس بعض مظاهر السرعة في بعض مايروي عنهم فمثلاً يقال أن أبا ذؤيب أنشد في يوم اليوياة:

---

[2] الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج2، ص 642.

أَدركَّ أَربـــــــــــاَبُ النَّعـــــــــــيْم

وَحِمـــــى الضَّـــــربُ وحـــــْم

بكـــــــل ملحـــــــوب أشَـــــــْم

مُـــــتَلَّق مثـــــل الـــــزُّلُم

رَدُّوا السُـــــــــــبِتَّي والـــــــــــنَّعْم

يـــا حبـــذا ريـــحُ بِـــثْم[1]

فَثمة حركة ودأب ونشاط، وكان أن أسرع بهذا الرجز مجزوءاً . بل أسمع إلى ما يقول صخر الغي وهو يرى الموت محدقاًبه:

يـــا قـــوم ليســـت فـــيهم عقيـــرة فأمشوا كما تمشي جمالُ الحيزه

وأعلوهم بالقبض الذكور[2]

كان المسكيت يدعو قومه بهذا الرجز، فقتله أعداؤه قبل أن ينجدوه

ب/ التحرر :

التحرر في مطلع القصيدة، وأقصد به التخلص من التصريع ولقد جرت عادة الشعراء أن يصرعوا، وكان من أميز ما يميز القصائد لا سيما الكثير منها أن تكون مصرعة وإلاّ فقدت نغمة توقيعية كان يألفها الشاعر ويستطيبها ويميل إليها : قد رأينا بعض القصائد تصرع أكثر من مرة كمعلقة أمرئ القيس، صرعت ثلاث مرات في مطلعها وهو يقول:

قِفـــاَ نَبْـــكِ مِـــنْ ذِكْـــرَى حَبِيـــبٍ وَمَنْـــزِلِ

(1) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، أحمد كمال زكي، دار الكتب، القاهرة، 1389هـ ، ص 231، مدحوب: الخفيف قليل اللحم، مذلق : محدد ، الزحم : القدح.

(2) ديوان الهذليين (ط دار الكتب)، 238/2.

ليست فيهم عقيرة : أي لا يغتفرون ذنباً

القبض الذكورة : السيوف

بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ثم في قوله:

أفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

فإنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمعتِ صَدْمِي فَأَجْمِلِي

وأخيراً في قوله:

أَيُّهَا اللَّيْلُ لِطَوِيلُ أَلاَ أُنْجَلِ

بِصُبْحٍ وما إِلاَ صْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ[1]

وهو قد والى بين ثلاثة أبيات مصرعة في إحدى قصائده فقال:

تَروحُ مِنَ الحَيِّ أم تَبتَكِر

بِمَاذا عَلَيكُ بِأَن تَنتَظِر

أَمِ رُخٌ خِيَالُهُ مٌ أم عُثَر

أَمِ القَلبُ فِي إِثْرِهِم مُنحَدِر

وشَاقَك بَين الخَلِيط التنظر

وفَيمن أقَام مِن الحَي هَر[2]

وأما عمر بن كلثوم قد صرع في معلقته مرتين، إحداهما في المطلع وهو:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا

وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِينَا

والثانية في قوله :

قِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا

نُخَبِّرْكِ اليَقِينَ وَتُخْبِرِينَا[1]

---

(1) شرح المعلقات السبع، ابن عبد الله الحسين، النهضة المصرية، 1987م، ص 3 وما بعدها.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، دار الجيل، ط5، 1981م، ج1، ص 115.

[1] شرح المعلقات السبع، أبي عبد الله الحسين، ص 119 وما بعدها.

وصرع عنترة مرتين متعاقبتين فقال:

هَـلْ غَـادَرَ الشّـعَراء مِـنْ مُتَـرَدَّم

أَم هَـلْ عَرَفْـتَ الـدّارَ بَعْـدَ تَـوَهُّم

يـا دَارَ عَبْلَـةَ بِـالْجَواءِ تَكَلَّمـي

وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي[2]

قد يقال إنهم في الغالب كانوا يفعلون ذلك حينما ينتقلون من موضوع إلى موضوع، ولكنا رأينا أيضاً أنهم يصرعون في الموضوع الواحد.

أما الهذليون فلم تكن موضوعاتهم في القصيدة تتعدد، بحيث يصرعون عند كل موضوع فضلاً عن أنهم كانوا يدعونه في المطلع. ما أُري لهذا التحرر سبباً إلاّ أن سكون راجعاً إلى شيوع المقطعات. فهذه لا يشترط فيها التصريع والتصريغ ظاهرة واضحة في شعر المقطعات فقد وضعت كذلك في كثير من القصائد القصيرة. أما فى القصائد الطويلة التي لم تصرع فقد جاءت إما تشبهاً بالمقطعات، وإما عزوفاً عن التقليد.

قول أبي ذؤيب:

عَرَفْـتُ الـدِّيَارَ كَـرَقْمِ الـدَّوَا

ةِ يَزْبُرُهـا الكَاتِـبُ الحِمْيَـرِيُّ[3]

وقوله:

أَصَـبَحَ مِـنْ أَمِّ عَمْـرٍو بَطْـنُ مَـدَّفَأَ فَـأ

كْنافُ الرَّجِيحْ فَذُو سِدْرٍ فَأَمْلاَحُ[1]

لعلّ هذا الشاعر كان أحرص شعراء هذيل على التصريع، فقد ورد أكثر من نصف قصائده مصرعاً، أما الجزء الباقي فوزع بين مقطعات وقصائد صغيرة، مع ذلك

---

(2) المرجع السابق، ص 138.

(3) ديوان الهذليين (ط. دار الكتب) 1: 64.

(1) ديوان الهذليين، ط1، دار الكتب، ص 45.

يمكن أن يقال أن خير من يمثل هذا التحرر هم الذؤبان وعلى رأسهم أبو خراش والأعلم وعمرو ذو الكلب، ومع أن لهم قصائد طوال.

وقد تبع هذا التحرر ظاهرة أخرى هي التخلص من المقدمات الغزلية لا سيما عند الذؤبان، أبا ذؤيب كان أحرص شعراء هذيل على هذه المقدمات فشبب وبكى الأطلال في إحدى عشر قصيدة . أما ساعدة بن جؤيه ففعل ذلك في خمس قصائد فقط.

ج/ الأبحر الخمسة:

الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار البحر أو القافية كما يزعم ابن العميد أو غيره ممن يذهب مذهبه، لأن من إحساسه الجياش ما يصرفه عن هذه الإرادة الواعية. وآية ذلك إنا نرى الشاعر يشبب في بحر معين ثم يهجو بنفس البحر، بل هو يشبب ويهجو في قصيدة واحدة لها نفس البحر والقافية.

لماذا قال معقل بن خويلد مثلاً بائيته التي مطلعها :

إِمَّـــا صَـــــرَ مْتِ جَدِيـــــدَ الْحَبـــــا

لِ مِنَّـــا وَغيَّـــرَكِ الآشِـــــبُ[2]

في المتقارب، وهم يقولون عنه أنه أخف من أن يضم أفكاراً ضخمة أو يسع موضوعاً كبيراً .ولو نظرنا في فيما تناولته هذه القصيدة لرأينا فخراً ووصفاً وعتاباً وهجاء وثم أنها قيلت في مناسبة عريضة ضخمة، قيلت في وفود معقل بأسرى الجيش وحمير على النجاشي ليفدي بهم أسرى العرب.

الطويل البسيط هما من الجلال والغنى وطول النفس بحيث يسعان كل شيء. الهذيليين استخدموا الأوزان الشائعة واستخدموا منها خمسة فقط، كانت هذه وحدها مما عرف حتى نهاية العصر الأموي.

---

[2] المرجع السابق، ص 389.

أما هذه الأبحر فهي الطويل والوافر والبسيط والكامل والرجز واستخدموها بهذا الترتيب، وكان استخدامهم للطويل أكثر، وكانت عنايتهم بالبحر المتقارب دون الخمسة جميعاً.

د/ غرابة اللفظ:

الألفاظ هي اللبنات التي تبني بها القصيدة، واللفظة الواحدة حي يعيش ويتطور ويصور كل ما في الحياة.

كتب القزويني في إيضاحه عن الفصاحة والبلاغة إذ قال فيما قال :(أما الفصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة)[1].

إن تنافر الحروف شيء معول عليه جداً في سلامة اللفظ من العيوب وميل الأذن لها وإساغتها، ولكني لا أفهم أن الغرابة مما يفسد فصاحة الكلمة[2].

لا يهمنا ذوق كثير من القدماء حين جمعوها من منتقيات العرب فهي حافلة بالكلمات الغريبة التي يسميها القزويني وغيره حوشية. لقد روى أن الأصمعي عمل على قطعة كبيرة من أشعار العرب فلم ترضى العلماء لقلة غرابتها[3].

يرثي أبو ذؤيب نشيبه فقال:

وَطَعْنَةِ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرِشَّةٍ ... كَعَطِّ ٱلرِّدَاءِ لَا يُشَكُّ طَوَارُهَا

مُسَحْسِحَةٍ تَنْفِي ٱلْحَصَى عَنْ طَرِيقِهَا ... يُطَيِّرُ أَحْشَاءَ ٱلرَّعِيبِ أَنِيرُهَا

وَمُدَّعَسٍ فِيهِ ٱلْأَنِيضُ أَخْتَفَيْتَهُ ... بِجَرْدَاءَ يَنْتَابُ ٱلتَّمِيلَ حِمَارُهَا

وَعَادِيَةٍ تُلْقِي ٱلثِّيَابَ كَأَنَّهَا ... يَعَافِيرُ رَمْلٍ مَحْصُهَا وَٱنْبِتَارُهَا

(1) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، أحمد كمال زكي، ص 237.

(2) جمهرة أشعار العرب، أبي زيد القرشي، طبعة بولاق، ص 118، وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ج2، 643 أنها أجود ما قيل في قافية الطاء.

(3) الفهرست ، أبو الفرج محمد ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1997م، ص 56.

سَبَقْتَ إِذَا مَا الشَّمْسُ آضَتْ كَأَنَّهَا صَلَاءَةُ طِيبٍ لِيطُهَا وَاصْفِرَارُهَا

إِذَا مَا سِرَاعُ القَوْمِ كَانُوا كَأَنَّهُمْ قَوَافِلُ خَيْلٍ جَرْيُهَا وَاقْوِرَارُهَا[1]

نستطيع أن نميز غرابة هذيل عن غرابة فحول الأمويين في نقائضهم، كنا في حالات كثيرة نستشير المعاجم في كلماتهم الغريبة فلا نعثر على شيء ذي قيمة كبرى وراءها، فهي ضخمة ولكن في مبناها فقط.

أما الهذليون فكانوا يتكلمون عن طبع أصيل وبكلمات يتداولونها في باديتهم، فجاءت غرابتهم عن أصالة تحمل من معاني الحياة جمالاً كثيراً. وشعرهم من هذه الناحية شيء قيم حقاً وإن عجبته الغرابة اللفظية.

ينقصنا أن نسأل : هل ظلت الغرابة سمة الشعر الهذلي حتى بعد أن استقر الإسلام في نفوس العرب ودفع بهم إلى خارج جزيرتهم؟ .

لا أنكر أن تكون الحياة الجديدة وما تبعها من تنقل ورحلة قد عملت عملها، إلا أن ذلك احتاج إلى وقت طويل. ورأينا المخضرمين وكل من جاء بعدهم مباشرة لا يزالون يؤثرون الغريب؛ وأقرأ في ذلك طائية أسامة بن الحارث وهو من المخضرمين وخال أمية بن أبي عائذ، ومطلع قصيدته:

مـــا أنـــا والســـير فـــي متلـــف

يعَّبـــر بالـــذكر الضـــابط[1]

ثانياً : خصائص موضوعية:

---

(1) شرح أشعار الهذيليين، السكري، ج1، ص 83-86.

وعط : شق، يشك : يخاط، طوارها : طولها يصف الطعنة بأنها متسعة ترش الدم ويشبه ما تحدثه في البدن من الشق بشق الثوب الذي لا يلتئم.

مسحسحة: مسيلة للدماء، الرعيب : المرعوب، مدعس: حيث يشتوي اللحم، الأنيض: اللحم الذي لم ينضج، المثيل: بقية الماء، عادية: قوم يعدون، محصها وانبتارها : نوعان سيرها، صلاءة : حجر عريض يدق عليه، ليطلها : لونها حين تصفر، الخلاجيم ـ الخلاجيم: الطوال، تكلوا: جبنوا، سعارها : حرها.

(1) شرح أشعار الهذليين، السكري، ج2، ص 205.

لها الأثر الأول في تقويم القصيدة، ذلك أنها تمس معانيها مساً قوياً، وتصل بموضوعاتها اتصالاً لا يمكن إنكاره.

أ/ الوحدة الموضوعية:

موضوعات القصائد الطويلة ثّم تعقب بالقصير منها والمقطعات حتى تنتهي إلى وحدة زعمتها. قصيدة طويلة لأبي شهاب المازني قالها في يوم البوباة ومطعلها:

ألا يا عناء القلب من أم عامرٍ

ودينته من حبِّ من لا يجاور[2]

وبعد ذلك أبيات أخرى في هذا التقديم، ثم يدع كل شيء ويفخر بقومه ويصعد بهم إلى السماء ويتحدث عن وقائعهم ويشيد ببأسهم.

أبي ذؤيب في عينيته فنجده يقصرها كلها على الرثاء. حقاً وهو يبدأ أبياته بوصف حاله وحديث أميمة له، ولكنه كان يقصد بذلك الوصول إلى أولاده. ثم يدع كل شيء ويقص علينا ثلاث مآسٍ مفزعة كل واحدة مستقلة عن الأخرى وإن كانت تدور حول فكرة واحدة وهي ريب الدهر.

ب/ الواقعية:

هي صفة من صفات شعر الهذليين لأن هذا الشعر جزء من تراث العرب الأقدمين الذي درج على أن يتصل بحياة القبيلة ويصورها.

الهذيليون يمتازون بأنهم انقطعوا لأنفسهم فقط، فعاشوا في حملتهما يتغنون بحياتهم الخاصة، لا يعنيهم أحد، ولا يسعون إلى أحد، يقبلون كل ما تأتي به الأيام إلاّ أن يكونوا عبيداً لرهط من الأرهاط أو نفر من الناس.

(2) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، أحمد كمال زكي، ص 243. دينته : عادته أو دينه كأنه أراد ذله وانقياده.

وكذا تفشت ظاهرة التصعلك عندهم تفشت بشكل قوي حتى إننا لنرى في حياة الوادعين كثيراً من مغامرات الذؤبان مما حمل الظن أنهم كانوا يحبون حياتهم في بعض الأوقات[1].

واقعيتهم كانت تختلف عن واقعية العرب المعروفة فبقوة الفردية وبروزها، أنها واقعية تبعد على نحوٍ ما عن واقعية الجماعة، مع ذلك فينبغي أن نقول أن واقعية الجماعة كانت موجودة، ومن مظاهرها قول عمرو بن هيمل اللحياني لخصم من خزاعة:

وَإِنَّا نَحْنُ أَقْدَمُ مِنْكَ عِزًّا إِذَا بُنِيَتْ بِمَخْلَفَةَ الْبُيُوتُ

خُزَيْمَةُ عَمُّنَا وَأَبِي هُذَيْلٌ وَكُلُّهُمُ إِلَى عِزٍّ وَلِيتُ

وحين يقول معقل بن خويلد وهو سيد قومه:

بَنُو فَالِجٍ قَوْمِي وَهُمْ وَلَدُوا أَبِي وَخَالِي ثِمَالُ الضَّيْفِ مِنْ آلِ فَاتِكِ (3)

تماماً كما يفعل أي جاهلي حين يقول أبي فلان وعمي فلان وخالي فلان، يزهو بهم ويضعهم في السماء، يريد بذلك التعالي على أقرانه.

ثم نرى ضرباً آخر من الواقعية حيث يذهب هذلي إلى عمر بن الخطاب ينشد:

أتيتك في والد قاطع ٍير الشتيمة لا يُغْضَبُ
فكن لي ظهيراً ولا أُظْلَمتْ فليس لي وراءك لي مَذْهبُ
تفاني وكنت ابنَه حِيَةً إليه أقول إذا أَنسبُ
لزوجِة سوءٍ فتنا شرها علّى جِاراً فَهِي تضْربُ
على غير ذنبِ قضاّعية لها والٌد فوقه أحدبُ

(1) شعر الهذليين، أحمد كمال زكي، ص 251.
(3) شرح أشعار الهذليين، أبي سعيد السكري، ج1، ص 401.

فيرسل عمر إلى أبيه ويقول له: ما يقول ابنك ؟ زعم أنك نفيته! قال: يا أمير المؤمنين غذوته صغيراً؛ وعقني كبيراً. أنكحته الحرائر؛ وكفيته الجرائر. فأخذ يلمني، وأظهر مذمتي!.

شاهَدَ ذلك من هذيلٍ أربعة سافعُ وعُمه مشجّعه
وسيد الحِي جميعاً مسالك ومالك محض العروق ناسك

فأمر عمر بالغلام فضرب، فطفق يقول وهو يجرّ:

شكوت أمير المؤمنين ظلامتي فكان حباس أن أَجَر على فمي[1]

نرى الواقعية في مثل هذه الأخبار التي تحفل بها البقية ولا سيما في ما يعرف لحياة الصعاليك، كما نراها في غزلهم الساذج ورثائهم المحزن، وهجائهم الطبيعي، وثورتهم الدائمة، وقصصهم الحي.

ج/ القصصية:

القصص هو فن لم يعرفه العرب الأولون، اتفق الجميع على أنه ظهر طفلاً في (كليلة ودمنة) وصبياً عليلاً في (ألف ليلية وليلة) وفي شعر هذيل رأينا الغناء والقصص حين كان الشاعر يرثي ويستعبر وكان قوياً مكتمل العناصر ثم رأيناه حيث حدثنا الذؤبان عن أنفسهم وكانت الذاتية واضحة.

كانت القصة الشعرية عند هذيل مذهباً عاماً، وكان الشاعر يلجأ إليها وهو عامد، وكان يتخيل الحادثة وهو واع لها، فكان يحدثنا بها وهو متيقظ إلى كل شيء فيها، وكان ينتهي منها في الوقت الذي يريد، ثم كان قبل كل ذلك أو بعد كل ذلك لا يتحدث عن نفسه واصفاً لها أو محللاً عواطفها. كل ذلك يبعد الحادثة عن الغناء ويضعها في دائرة القصة.

[1] شعر الهذليين، أحمد كمال زكي، ص 252.

قيام القصة على حوادث مرتبط بواقع الحياة فنجد الفنان المعاصر يتخيل ولكنه يربط خياله بما يحدث كل يوم أو حقيقة وفي شعر هذيل وجدناها أقوى من أن ينكرها منكر . ونلتمسها في إحدى قصص ساعدة ابن جؤيه التي يبدؤها بهذه الأبيات:

وتالله ما إن شهلة أم واحد بأوجد مني أن يهان صغيرها
رأته على يأس وقد شاب رأسها وحين تصدّى للهوان عشيرها
فشب لها مثل السنان مبرأ إمام لنادي دارها وأميرها
عناش عدوٍ لا يزال مشمراً برْجلٍ إذا ما الحرب شب سعيرها[1]

هنا لا نستطيع أن نفرق هذه المرأة عن أية عجوز تضرب في هذه الحياة وتسعى على هذه الأرض. وهو يمضي معها أو بها في ظروف اجتماعية معقولة مقبولة فيحدثنا عن وجدها حيث كسرت بها السنون ولم تنجب ولدا، حتى إذا يئست وهانت في عين زوجها كالعادة جاءها فاهتمت به وعكفت عليه ترعاه، فشب قوياً صادقاً يضطرب فيما يضطرب قومه، فيثور ويقتل عدوه ويخرج مع الغزاة للقتال.

معظم قصص هذيل يدور حول شيء واحد هو : عنت الدهر ومهما يختلف الشاعر في الأوصاف والتفضيلات والتحليلات لينتهي إلى نهاية يشرئب إليها هذا الدهر. والقصص كله أظهر ما يكون قبل الإسلام فلما تقدمت الأيام ضعف هذا الفن بل مات عندهم. ولم يعد أحد من هذيل يعني به، فقد هدأت لاعجنتهم وفرت حياتهم، واستشعروا نوعاً من الفرار جعلهم يتفاءلون بالحياة فضلاً أنهم على ما يبدوا وجدوا من القرآن الكريم غناء أي غناء.

ثالثاً : خصـائص أدائيـة :

---

[1] ديوان الهذليين ، (ط. دار الكتب) ر م: 215، وما بعدها.
شهلة : أمرأة كبيرة، عشيرها : زوجها
عناش عدوً : معانق عدو
برجل : برجال

وهي الصفات التي نلاحظها على الهذليين في أثناء أداء عباداتهم، وتحدثهم بما يختلق في الأعمال. بل هي الصفات التي لازمتهم في إبراز المعنى، وتصوير الحدث وخلق الصورة. ولهم ثلاث صفات ربما شاركهم فيها الآخرون، إلاّ أنها لازمتهم ولزموها في أغلب الأحيان.

أ/ التشبيه:

هو صفة لازمة، ولا يحتاج إلاّ إلى مجرد موازنة بين شيئين قصد إشراكهما في معنى. إنه أمثال ألوان البيان وأقربهما إلى السذاجة والفطرة، ولو أنه في أكثر الأحيان يزيد الحس بالجزئيات ويجسم الصورة تجسيماً يبرز جمالها وحسنها.

والصورة عند هذيل أو عند غيرها تعتمد على الحقيقة طوراً وعلى المجاز طوراً آخر، واعتمادها على الحقيقة أمر واضح فكيف أن يصور الشاعر منظراً مصطنعاً فيه الصراحة التعبيرية أو مستعملاً اللفظ فيما وضع له، فتكون هذه الحقيقة المعطاء أو أبا قلاية يصطنع غيرها حين يقول:

هَلْ يُنْسِيَنَّ حُبَّ ٱلْقُتُولِ مَطَارِدٌ ... وَأَفَلُّ يَخْتَضِمُ ٱلْفَقَارَ مُسَلَّسُ
لَبِّنٌ حُسَامٌ لَا يُلِيقُ ضَرِيبَةً ... فِي مَتْنِهِ دَخَنٌ وَأَثْرٌ آحْلَسُ
وَشَرِيجَةٌ جَشَّاءُ ذَاتُ أَزَامِلٍ ... يَحْظِي ٱلشَّمَالَ بِهَا مُمَرٌّ أَمْلَسُ (1)

إنه يصف ضعف سلاحه، فوضع كل لفظة فيما تستعمل له عادة.

لو نظرنا في المجاز، وسائر ألوان البيان، فلن نعثر على جزئيات لا تستطيع أن تحكم بهما على الكل، فهي ليست مطردة الظهور، وكل شعر استعاره نجد صنوفاً من البديع من حين إلى حين.

فثمة طباق في قول أبي صخر:

---

(1) شعر الهذليين، أحمد كمال زكي، ص 216.

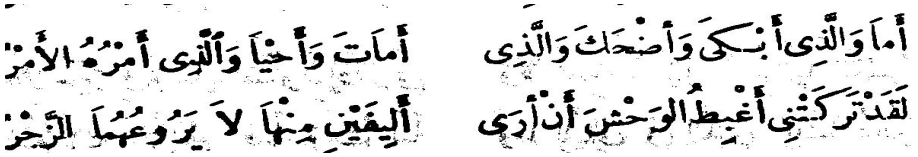

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَغْبِطُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لاَ يَرُوعُهُمَا الزَّجْرُ

وقال في السحاب والبرق:

كأن تواليه بالملأ سفائن أعجم ما يحن ريقا
أرقت له مثل لمع البشير قلب بالكف قرضاً خفيفاً
فأقبل منه طوال الذرى كأن عليهن بيعاً جزيفا[1]

فهذا من أطول التشبيهات في شعر هذيل، فهنا الشاعر يرسم الصورة رسماً مليئاً بالحياة، فنجد المشبه والمشبه به في حركة واضطراب، ونلحظ وجه الشبه مركباً، فليس نتابع السحاب ومآخيره سفائن أعجم فقط، ولكنها سفائن أعجم كانت في الريف فعادت منه محملة مثقلة بالسلع. وأما البرق فيه فهو يلمع مثل لمع البشير حيث يقلب كفه ترسم معلناً أنه غنم، وأما السحب الطوال التي يتحدث عنها في البيت الثالث فهي ثقيلة كالسفن التي حملت بيعاً كثيراً لا مقدار له.

صورة التشبيه عند هذيل تقوم على الخيال المنترع من حياتهم فيه كثير من الجمال والصدق، وفيه كثير من الاتزان بالواقعية، إنها صورة تمس أصول فن الهذليين، وتفصح في تكوينهم النفسي، وتتحدث عن فطرتهم التي فطروا عليها. حقاً يعد التشبيه ركناً أساسياً في كل شعر جاهلي أو إسلامي إلاّ أنه عند هذيل معرض لذوات أفرادها، ومن ثم اختلف في معدنه عن أي تشبيه يضاف إلى غير الهذليين.

ب/ الحكمـة:

---

[2] ديوان الهذليين ، (ط. دار الكتب)2: ص 69.
تواليه : أواخره ، الملأ : موضع ، ما يحن ريفا : امتحن ريفا
فرضا : ترسا ، بيعا جزيفا :أي أخذت له جزافاً بلا كيل.

استخدمها الهذليون وهم يسوقونها ويعبرون عن مشاعرهم ويصورون أحاسيسهم وهي التي تبحث عن حقائق الأشياء وتنظر فيما وراء الطبيعة، والإلهيات. اشتهر عدد كثير من شعراء هذيل بها قد قال المبرد عن أبي خراش:(وهو أحد حكماء العرب).

لقد كن نطقهم بهذه المعاني وهي الحكمة يأتي لمحا، في أثناء حديثهم عن فجيعة الدهر وريب الزمن وقسوة الحياة.

كانت حكمتهم تصرفات عقلية تعرض لهم وهم يؤدون عبارتهم فيسوقونها شعراً، فكانت تأتي أشبه بالأمثال تارة، وأشبه بالنصائح تارة أخرى. وهي عميقة المآخذ، عذبة الموقع، شديدة الاتصال بواقع الحياة.

فما جرى مجرى الأمثال شيء كثير لأبي ذؤيب منه قوله:

وَٱلنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وقوله :

وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

وقوله:

ومـــا أنفـــس الفتيـــان إلا قـــرائن

تبـــين ويبقـــى هامهـــا وقبورهـــا

وقوله: والدهر يحمد ريبه ما يزرع

ج/ التصوير:

التصوير تمثيل الشيء في صورة ما من التعبير، وهو في الشعر أهم ركن فيه، بل لعله الشعر كله. وقديماً قيل في تعريف الشعر : إنه تصوير للطبيعة.

الهذليون كمدرسة شعرية يمتازون بقدرتهم الفائقة على التمثيل ولهم في ذلك تعبيرات قوية جادة، فلما نعثر على مثلها عند الشعراء الآخرين مثلاً تصوير المتنخل عبثه ومجونه ، فهو يقول:

فَإِمَّا تُعْرِضِنَّ أُمَيْمَ عَنِّي وَيَنْزِعْكِ الوُشَاةُ أُولُو النِّيَاطِ

فَحُورٍ قَدْ لَهَوْتُ بِهِنَّ وَحْدِي نَوَاعِمَ فِي المُرُوطِ وَفِي الرِّيَاطِ
لَهَوْتُ بِهِنَّ إِذْ مَلَقِي مَلِيحٌ وَإِذْ أَنَا فِي المَخِيلَةِ وَالنَّشَاطِ
أَبِيتُ عَلَى مَعَارِيَ فَاخِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِبَاطِ
يُقَالُ لَهُنَّ مِنْ كَرَمٍ وَحُسْنٍ ظِبَاءٌ تَبَالَةَ الأُدْمُ العَوَاطِي
يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ
رَكُودٍ فِي الإِنَاءِ لَهَا حُمَيَّا تَلَذُّ بِأَخْذِهَا الأَيْدِي السَّوَاطِي (1)

الصورة هنا واضحة دقيقة، عنى فيها الشاعر بكل شيء. فلقد تحدث عن هؤلاء اللاتي يلهو بهن، وهن نواعم في رياطهن. وصور نفسه فتى عابثاً كثير التودد، جم الملق، حسن القوام، ظاهر الخيلاء، وزاد في تصويره لعبثه فإذا هو على فراش فاخر يأخذ حظه مما لا بد للنساء من كشفه، وكن مطيبات، وعلى جانب كبير من الجمال، حتى ليشبهن في حسنهن ظباء تبالة. وقد يخيل إلينا أن صورة لهوه قد نمت إلى هنا، ولكنه لا يراها كذلك، فما زال ينقصه شيء، وما زال في حاجة إلى الخمر، ولذا لم ينس أن يصور لنا الساقي وهو يسعى بأقداح الشراب وكان هذا الساقي أعجم من هؤلاء الصراصرة الجعاد. وأما الخمر فهي في إنائها صافية ساكنة تتناولها أيدٍ لذة أصحابها.

تلك لمحات عن تصوير هذيل، فيها دقة وروعة، نستطيع إذا تأملنا فيها أن نرى إلى أي حد استطاع الهذليون أن يعبروا عن المعاني تعبيرات قوية ملموسة، لا تقل في دلالتها عن أي لوحة يرسمها مصور.

وبذلك نكون قد انتهينا من الصفات العامة في شعر هذيل، وهي إذا كانت تشترك في بعضها أو أغلبها مع غيرها فليس من الممكن إهمالها لهذا الشأن، لا سيما وأن الشعر العربي كله كان يسير في تيار واحد وله خصائص واحدة، ومن الصعب أن نلتمس فيه وجوه اختلاف تفصل بعضه عن بعض فصلاً بعيداً .

(1) ديوان الهذليين، (ط ـ دار الكتب) ، 2: ص 19 وما بعدها.

كان لهذيل وضع خاص ميزها عن غيرها سواء فيما تتناولته من فنون أو فيما كان لها من خصائص وصفات، فقد كانوا يتلاقون مع غيرهم حيث يفخرون ويتغزلون ويهجون، ولكنهم كانوا يختلفون عنهم حيث يلحون على الرثاء ويديمون الوقوف إزاء الحيوان.